

أوغست كونت: 1798-1857

أوغست كونت مفكر فرنسي ظهر في أواخر القرن 18 ومنتصف القرن 19، ولد سنة 1798 في مونبوليه جنوب فرنسا من أسرة كاثوليكية، درس في السادسة عشر من عمره الرياضيات بالمدرسة متعددة الفنون بباريس، وألف أول كتاب له بعنوان "تأملاتي"، والتقى بسان سيمون سنة 1817، حيث تأثر بفكره وكتبه ومذهبه -مذهب السياسة الوضعية- ثم استقل عنه بعد اختلافهما فكريا. تزعم كونت حركة عصيان الطلبة سنة 1816، وفي 1917 أصبح سكرتيرا لسان سيمون.

بدأ في إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في الفلسفة الوضعية وذلك سنة 1826، وفي سنة 1829 نشر محاضراته في ستة أجزاء عنوانها؛ محاضرات في الفلسفة الوضعية. نشر كتاب البرنامج العالمي لإعادة بناء المجتمع، إلى جانب نشره لكتاب الفلسفة الذي ناقش فيه أهم ملامح الفلسفة.

عاش أوغست كونت في فترة الثورة والردة نحو الرجعية، وبين الحرية والدكتاتورية وسيطرة الحاكمين ومقاومتهم للتغيير، بل ومحاولة الحيلولة دون آثار الثورة الفرنسية، حيث عاشت فرنسا سبع أنظمة سياسية خلال فترة خمسون سنة، هذا المخاض العسير لميلاد فرنسا الجديدة انعكس على أساس المجتمع فاضطرب الاقتصاد والاستقرار الاجتماعي والسياسة والتقلبات السريعة.

ومن أهم مؤلفاته:

- Discours sur l'esprit positif
- Discours sur l'ensemble des positivisme 1851
- Synthés subjectifs 1856
- Cours de philosophie positive 1864

إسهاماته في تطور العلم:

أمام استفحال الأزمة الاقتصادية التي نتجت عن تطور الصناعة تظهر الحاجة إلى تأسيس علم جديد بإمكانه دراسة هذه التحولات السريعة. وهنا سيظهر علم الاجتماع ليقوم بمراقبة

التغيرات السريعة التي تهز المجتمع الأوروبي ومن هناك أطلق سان سيمون الدعوة إلى تأسيس علم الاجتماع يستمد سلطته المرجعية (يقتفي آثار) العلوم الطبيعية التي انبهر بها نظرا لنجاحاتها واعتماد مناهجها وأدواتها لإعادة تنظيم المجتمعات الأوروبية عموما والمجتمع الفرنسي خصوصا على أساس علمي.

بدأت ملامح علم الاجتماع تتضح أكثر مع المؤسس أوجيست كونت الذي أطلق عليها عبارة الفزياء الاجتماعي.

يمكن القول بأن المعرفة تتطور من خلال أبعاد ثلاثة: نفسية واجتماعية وتاريخية. وهي ما كان محركا لأوجيست كونت وظهرت في أعماله وكتاباتة، رفض كونت الأزمة باعتبارها فوضى أخلاقية وسياسية وإعادة النظام إلى المجتمع فالأمر يقتضي إقامة معرفة علمية بديلة بقوانين تطور المجتمع.

إن دعوة كونت إلى قيام علم الاجتماع يبتغي من خلال إعادة الاستقرار إلى المجتمع والقضاء على الفوضى وهو في نظره ضرورة قصوى وأنه بفضل العلم والعلماء ستدخل البشرية إلى مرحلة عظمى لأن العلم سيصبح قوة روحية ذات أهمية بالغة في تطور المجتمع.

أطلق أوجيست كونت اسم الفزياء الاجتماعي على العلم الذي هو علم الاجتماع غير أنه لم يحدد مفهوم الظاهرة الاجتماعية لكونه يرى في هذا العلم يدرس جميع الظواهر التي لم تسبق دراستها من قبل ولأن كل الظواهر الإنسانية هي ظواهر اجتماعية.

وبما أن الإنسانية هي موضوع علم الاجتماع فإن كونت يدرسها في حالتين:

الحالة الأولى: الديناميك الاجتماعي حيث يدرس الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية بغية الكشف عن مدى التغير والتقدم تخطوه الإنسانية في تقدمها، دراسة المجتمع في حالة انتقالية من حالة إلى أخرى، فكرة التقدم والتطور.

الحالة الثانية: الستاتيك الاجتماعي: الاهتمام بدراسة المجتمعات في حالة استقرارها في فترة معينة من تاريخها وكذلك تفاصيل والأخلاقية والدينية... وفي عناصرها ووظائفها بغية الكشف عن القوانين المتحركة في التضامن بين النظم الاجتماعية.(النظام والتضامن).

1- في إطار الديناميك الاجتماعي تدور أبحاث "كونت" حول نظرتي التقدم وقانون الحالات الثلاث:

في اعتقاده يرى "كونت" أن تقدم الإنسانية مر بثلاث مراحل في إدراكه كل فروع المعرفة من اللاهوتي إلى العقلاني مروراً بالميتافيزيقي.

بمعنى أن فهم النظم والحضارة والفنون لن يتأتى إلا بوضعه في إطار تاريخ التطور العقلي باعتباره المحور الذي يدور حوله النشاط الإنساني لأن الفكر أساس الحياة ولذلك فكل تغير إجتماعي فإنما يكون نتيجة للتطور الفكري.

الدين: اللاهوتية فهم الظواهر بإرجاعها إلى قوى إلهية وأرواح الشياطين وما إلى ذلك وعدم الأخذ بأسباب النمو الدنيوية.

الفلسفة: الميتافيزيقا: إرجاع الظواهر إلى معاني مجردة أو قوى خيالية أو علل أولى هي الأخرى بعيدة عن الإثبات العلمي.

العلم: الوضعية العقلانية: تفسير الظواهر بإرجاعها إلى قوانين تحكمها سيادة الفكر العلمي وإلى أسباب مباشرة تؤثر فيها التغير الكيميائي والطبيعي والقوانين المكونة لهذه الظواهر، دراسة التغير الاجتماعي والقوانين المرتبطة به.

نظرية التقدم:

كان المفكرون قبل "كونت" يفسرون التغير الاجتماعي والتقدم الانساني بالاضطرابات والدبدبات التي تحصل في المجتمعات.

غير أن "كونت" يفسر التقدم بالسير نحو هدف معين يتحقق بالمرور بعدة مراحل ضرورية لأن المجتمعات تسير وفق قوانين ضرورية تحدد بالضبط سير تقدمها والشروط الضرورية لذلك.

والتقدم ينتج عنه تحسين في الظروف الاجتماعية ويتوقف أو يتحقق بقدر معرفتنا لقوانينه وبقوانين الظواهر الاجتماعية والتدخل على ضوء ذلك لتحقيق الإصلاح المنشود السرعة في التدخل واختصار الزمن.

ثم التحسن في الطبيعة الإنسانية بيولوجيا وعقليا في الكشف عن وسائل جديدة للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لصالح الإنسان.

2- في حالة الستاتيك الاجتماعي، ماهي نظرة "كونت" للمجتمع؟

يتصور "كونت" المجتمع باعتباره كلية إجتماعية تجمع الأفراد بما فيهم الأموات والذاكرة الاجتماعية من بنى ومؤسسات وتراث وعلاقات وثقافات وسلوكات تعبر بانصهارها عن كليته الاجتماعية. (الوجود الاجتماعي) ويذهب (كونت) إلى كون المجتمع سابق عن الأفراد وبالتالي فهو يمثل الحالة الطبيعية للإنسان إذ لا يزول بزوال أفراد، وليس مركبا صناعيا (أي بكونه قصديا في صيغة العقد الاجتماعي).

والتحليل الاستاتيكي للمجتمع يتكون من تحليل ثلاث مكونات:

الفرد / الأسرة / والمجتمع.

ويرى أن الفرد لا يؤثر في تقدم الإنسانية وبذلك فلا اعتبار لقوته الطبيعية لأن تضامن الأفراد وتعاونهم ومشاركتهم هي مصدر القوة إضافة إلى توزيع الأدوار والوظائف والقوى العقلية الممتدة هي القيمة الحقيقية وليس قوة الفرد العقلية.

والضمير الجمعي والتضامن الاجتماعي سابقة على قوة الفرد وضميره الفردي.

امتزاج العقول وتفاعل الوجدانات وإختلاف الوظائف هي محصلة الظاهرة الجمعية ولاشيء فيها للفرد حسب "كونت".

● الأسرة: أول مؤسسة/ خلية في المجتمع وفيها تتحقق الحياة الاجتماعية (العقول الوظائف الأمزجة الوجدانات وإتحاد وطبيعة أخلاقية). لأن أساس تكوينها هو العاطفة والجنس سواء بين الآباء أو الأبناء والقيم التي ينشرها الآباء في الأبناء والواجبات...

● المجتمع: هو وحدة حية ومركبة من أهم مظاهره التعاون والتضامن والأخلاق. تقسيم العمل وتوزيع العمل الناتج عن التضامن والتعاون وهو ما لا يتحقق إلا من خلال إصلاح نظام التعليم والتربية ونظام الأسرة والنظام السياسي.

فالنظام التربوي والتعليمي يجب أن يكون مبنيًا على أسس وضعية بعيدا عن النظام الديني والميتافيزيقي المجرد. ولابد من فصله عن السياسة المناقفة المشيرة للعداوات والصراعات. كما يرى ضرورة تقسيم التعليم إلى ابتدائي وثانوي وعالي. أما الأسرة فلا بد من بنائها على أساس الأخلاق الكاثوليكية وترويض الأفراد لتقبل التضامن الاجتماعي ونبد الأنانية، ولذلك وضع الأم في مكانة راقية لأهميتها ودورها في نشر القيم على أسس الوضعية.

أما النظام السياسي ضرورة انقياد الأفراد للحكومة لأن وظيفتها هي تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي والحرص على الوحدة الاجتماعية.

الانتقادات الموجهة إلى أوجيست كونت:

- رغم أهمية مساهمته في تأسيس علم الاجتماع إلا أن تحديد موضوعه بما يميزه عن غيره من العلوم.
- لم يميز بين خصائص الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية وحاول تطبيق منهج خاص بالظواهر الطبيعية على الظواهر الاجتماعية وهو ما وضع انطلاقة هذا العلم مستوية بالشبوهات. لأنه لم يؤسس على قواعد ومناهج ملائمة لخصوصية موضوعه.
- إن هاجس البحث عن الاستقرار والحفاظ على النظام على الوضع القائم دفعه إلى جعل هذا العلم أداة للضبط والحفاظ على النظام وليس للتفسير. فهدفه هو البحث عن القوانين التي تعيد الثبات والاستقرار للمجتمع.
- أعطى الأهمية لكل أكثر من الجزء وللمجتمع بدل الفرد الذي استبعده من نظريته العلمية والإصلاحية مخالفا الفلسفات السائدة في عصر الأنوار والواقع المجتمعي الأوروبي الذي كان يركز وقتذاك على الفرد. وأقصى الفرد من إمكانية التغير الذي كان يراه مسألة فوقية. وتتجاوز قدراته (قدرات الجماعة) وعلى الفرد أن يقبل ما هو قائم ولا يحاول تغييره وإلا استحق العقاب.
- الإيمان بالاحتمية والقدرية وعجز الإنسان وضرورة استسلامه للوضع القائم دون محاولة تغييره، وبهذا يكون قد شوه صورة الإنسان.